وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علوم الإعلام والاتصال

محاضرات في الوحدة الاستكشافية

أنثربولوجيا اجتماعية وثقافية

موجهة لطلبة السنة الثانية: إعلام واتصال

إعداد

د.بلحوسين نصيرة

العام الجامعي: 2021 / 2022

مقدمة:

إن تعدد الاتجاهات في تناول الانثربولوجيا، واطراد ما يكتب عن هذا العلم خاصة في الآونة الأخيرة، لخير دليل على حداثته. وبالرغم من مرور ما يقارب الآن من مائة وعشرين عاما تقريبا على نشأته الرسمية- إن صح هذا التعبير- فهو ما يزال يصنع تاريخه. لقد اتسعت الآن مجالات البحث والدراسة في هذا الفرع الجديد من المعرفة، وتداخلت موضوعاته مع بعض العلوم الأخرى، كما تعددت تخصصاته: هذا الى جانب تباين اتجاهاته النظرية والمنهجية. علاوة على ذلك فقد شهدت الأنثربولوجيا ذاتها مؤخرا مرحلة عصيبة من القدرة على الاستمرار وسط أعاصير التغيرات الهائلة التي تأثرت معها حياة الشعوب كبشر،وأساليب حياتهم كتراث إنساني:الأمر الذي يعتبر أحد الاهتمامات الرئيسية للأنثربولوجيا غيرها من العلوم التي تهتم بالإنسان: تتناول هذه المحاضرة تحديد الإطار العام للأنثربولوجيا بتقديم مدخل مفاهيم لهذا المصطلح وإبراز أهم الأهداف التي يسعى الى تحقيقها علماء الأنثربولوجيا، مرورا بعرض مختصر لنشأة وتطور هذا العلم،ثم أهم الفروع الموجودة فيه، وأخير تبيان العلاقة التي تجمع الانثربولوجيا بالعلوم الأخرى.

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي لمفهوم الأنثربولوجيا:

تعريف الأنثربولوجيا

1 - **التعريف الاشتقاقي** : إن لفظ الأنثربولوجيا Anthropology هي كلمة انجليزية مشاقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين أنثروبوس Anthropos ومعناه "الإنسان" و لوجوس Locos ومعناه "علم". بذلك يصبح معنى الانثربولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان" أي العلم الذي يدرس الإنسان.

2 - **التعريف الاصطلاحي:** يمكن تعريفها على أنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، وهو أيضا العلم الذي يدرس الحياة الحديثة المعاصرة ، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل.

ويمكن تعريفها أيضا بأنها علم(الاناسة):" العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق ، وينتمي الى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، والذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعا[1].

ومما يجدر الإشارة إليه وأنه فيما يخص ترجمة اسم العلم الأنثربولوجي الى اللغة العربية أثبتت عدم جدواها واتضح أنه أمر غير علمي، وذلك راجع لأنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة، فهناك علوم أخرى كثيرة تدرس الإنسان، كالتاريخ وعلم الاجتماع، وعلم النفس،والبيولوجيا الإنسانية...الخ كل تلك وغيرها علوم تدرس الإنسان، لهذا السبب العملي أثر علماء الأنثربولوجيا العرب الإبقاء على تسمية العلم كما هي في لغتها الأصلية،دوم ترجمتها من حيث التسمية.

أما من حيث موضوع العلم فإننا نجد من استعرض الدراسات الأنثربولوجية في ماضيها وحاضرها، وأن متخصصي هذا العلم قد أخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مأخذ الجد. ومن هنا أصبح موضوع هذا العلم بحق دراسة الإنسان وأعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان[2].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن علم الأثربولوجيا هو علم دراسة الإنسان، فهي تهتم بدراسة الإنسان كأنساق اجتماعية، في حين هناك من يقول أن الأنثربولوجيا بأنها تهتم بالإنسان وأعماله وسلوكه في جماعاته المختلفة وسلالاته المتباينة"، وان كان الأمر فان هذا التعريف شائع في مصر والدول العربية وبعض الدول الأوروبية وأمريكا، في حين أن بعض الدول الأوروبية الأخرى يأخذ المصطلح معنى مغاير أكثرا تحديدا، إذ تعني

---

[1]- عيسى الشماس ، مدخل الى علم الإنسان (الانثربولوجيا) دراسة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2004، ص 13،14.

[2]- محمد الجوهري وعلياء شكري ، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، القاهرة ،2008، ص 18.

الأنثربولوجيا لديهم دراسة الخصائص أو الملامح الفيزيقية للإنسان، لكن يفضل الكثير من الباحثين التعريف الأول لأنه أكثر شمولا،كما أنه يلقي الضوء على الإنسان من كافة النواحي الاجتماعية والثقافية والفيزيقية[1].

ويمكن اعتبار تعريف شاكر مصطفى سليم للأنثربولوجيا تعريفا جامع فهو يقول : هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا" [2]، وبالبرغم من بساطة هذا التعريف إلا أنه يشير ضمنا الى خاصية مميزة للأنثربولوجيا وهي النظرة الشمولية لدراسة الإنسان، فهناك علوم أخرى كثيرة طبيعية كانت أم إنسانية، تدرس الإنسان من جانب أخر لكن الأنثربولوجيا تشكل في نهاية الأمر منهجا يسعى الى تجميع المعرفة بالإنسان من كافة الجوانب، وذلك بهدف تقديم فهم متكامل ومترابط عن الإنسان وحياته ونتاجه الحضاري في الماضي والحاضر، ومن ثم يكون لديه القدرة أيضا على استقراء أنماط الحياة المستقبلية[3].

[1]- فاروق مصطفى إسماعيل، الأنثربولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1980، ص 12.
[2]- شاكر مصطفى سليم قاموس الأنثربولوجيا، ط1، جامعة الكويت، 1981، ص 56.
[3]- حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، يناير 1978، ص 29.

المحاضرة الثانية: أهداف الانثربولوجيا واهم مراحل تطورها

أولا: أهدافها

استنادا الى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها، فان دراستها تحقق مجموعة من الأهداف، يمكن حصرها في الأمور التالية:

1 - وصف الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقون به أفرادها من سلوكات في تعاملهم في الحياة اليومية.

2 - تحديد أصول للتغيير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغيير وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرجوع الى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد العناصر المختلفة.

3 - استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتمم دراستها، وبالتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة التي أجريت عليها الدراسة.

4 - تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول الى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان(بدائي- زراعي- صناعي- معرفي- تكنولوجي)[1].

(ص16 عيسى الشماس ، مدخل الى علم الأنثروبولوجيا)

إذن يمكن القول أن تهدف أولا وأخيرا لدراسة وفهم الإنسان في ماضيه وحاضره من منظور كلي، ليلقى الضوء على أهمية النسبية الثقافية والتي توضح لنا أنه لا ينبغي أن نتوقع أنماطا للسلوك الإنساني بفرض قيمنا على المجتمعات غير المتشابهة، لأن كل واحد منا يتمركز حول ذاته وينظر الى العالم من منظوره الخاص، لذا هي توجه الأنثروبولوجيا اهتمامها الى المقومات المشتركة التي تشارك فيها الجماعات المختلفة، ولا يهم أن نتقبل سلوك الآخرين الذين ينتمون الى ثقافات متباينة ولكن المهم أن نحاول فهم لماذا يتصرف هؤلاء الناس على هذا النحو أو ذاك.

ومن خلال عرضنا لأهم الأهداف التي يحققها علم الأنثروبولوجيا يمكننا تحديد الموضوع الأساسي الذي تقوم عليه كل البحوث الأنثروبولوجية. وهذا الموضوع يتمثل بالدرجة الأولى هو البحث عن مجموعة المبادئ التي تحكم تطور الإنسان فيزيقيا وثقافيا:

---

[1]- . فاروق مصطفى إسماعيل، كتاب الانتروبولجيا الثقافية، مرجع سبق ذكره، ص 13،14.

لماذا يتغير التركيب الفيزيقي للإنسان؟ لماذا توجد أنماط بشرية متميزة بمثل هذه الكثرة رغم أصلها المشترك جميعا؟ ولا شك أن حلول مثل هذه المشكلات تتطلب إجراءات ودراسات ومقارنات مركزة لكثير من الثقافات البشرية بقدر ما تستطيع البحوث ذلك[1].

وقد حدد ليفي ستراوس بشكل مدقق هدف الأنتروبولوجيا قائلا: إن الأنثروبولوجيا تهدف الى معرفة كلية وشمولية للإنسان وعلاقته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي." [2] وهكذا يمكن القول أن الأنثربولوجيا تتمتع وبالرغم من تنوع موضوعاتها بتكامل متين وذلك بفضل وحدة هدفها، وقد أعلن أحد دارسي الأنثربولوجيا "تاكس Tax" أنه مقتنع بأن "التكامل يزداد ولا ينقص، وإذ لم يحدث أبدا في أي مكان أن قيد معنى كلمة أنثربولوجيا، علي حين يحدث العكس باستمرار بفضل الاتصالات الدولية."،ويرى مؤلف قاموس مصطلحات الأنثنولوجيا والفلكلور أن الاتصالات بين العلماء من ميادين مختلفة عن موضوع الإنسان هي أحسن وسيلة من أجل تحقيق التكامل الحديث للأنتربولوجيا[3].

ثانيا: النشأة والتطور:

يذكر "بواربيه " أنه ربما كان أول استخدام لمصطلح الأنثوبولوجيا كان في عام 1810 تقريبا عندما حاضر المؤرخ الألماني "بارتولد نيبور" (1776- 1831) بجامعة برلين. وفي السنوات التالية استخدم المصطلح ذاته، على نطاق واسع، الباحث الايطالي "بالبي Balbi" الذي كان قد أقام في باريس لمدة اثني عشر عاما ونشر عدة كتب، أهمها –في نظر بوارييه- "الأطلس الأثنولوجيا للعالم" الذي صدر عام 1826.(حسين فهيم قصة الانتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، علم المعرفة فبراير 1986. 29ص)، في حين مجد في قاموس مصطلحات الانثنولوجيا والفلكلور أن أول من استخدم مصطلح الأنثربولوجيا هو " رواخ Rauch" لأول مرة بمدلول مختلف عم معناه السيكولوجي السابق، وذلك في عام 1841 وقد حدده على النحو التالي:" موضوع الأنثربولوجيا هو دراسة المؤثرات الخارجية التي يخضع لها العقل، والتغييرات التي تتم فيه بمقتضاها." وقد أسست أول الجمعيات الأنثربولوجية في أربعينات القرن الماضي[4].

لكن الأنتربولوجيا كمصطلح ظهر في بريطانيا عام 1593م، وكان المقصد منه دراسة الإنسان من جميع جوانبه الفيزيقية (الجسمية) والاجتماعية والثقافية، وقد استخدمت

---

[1]- محمد جوهري وعلياء شكري،مقدمة في دراسة الانثربولوجيا، مرجع سبق ذكره،ص 23،24.

[2]- مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الأنثروبولوجيا، دار الفارابي بيروت لبنان، 2011،ص 21.

[3]- ايكه هولتكرانس، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، قاموس مصطلحات الانثنولوجيا والفلكلور،ط2، القاهرة، مصر، 1972، ص 51.

[4]- المرجع نفسه، 49.

الأنتروبولوجيا في إدارة شعوب المستعمرات للدول الأوروبية الكبرى، فقد ساعدتهم على فهم طبيعة المجتمعات والثقافات السائدة والقيم والمعتقدات[1].

إذن بالرغم من قدم هذا المصطلح في تاريخ المعرفة الإنسانية إلا أن استعمالها بدأ فعليا في نهاية القرن العشرين حيث ازداد الاهتمام بها بالخصوص في الأوساط الثقافية الانغلوساسكونية (بريطانيا وأمريكا)،وكان الاهتمام في هذه المرحلة منصبا على الأنثربولوجيا البيولوجية أوالفيزيائية،أي الجسد كان محور اهتمامات الدراسات الأنثربولوجيا ومركزها[2].

وقد كان للتطور التاريخي للأنتروبولوجيا علاقة وطيدة بموضوعاتها، وهي:

أ - في القرن السابع عشر كانت أنثربولوجيا تطلق في مقابل الكسمولوجيا وهو علم الكون مقابل الثيولوجيا (علم الالهيات).
ب - في نهاية القرن التاسع عشر اهتمت الأنثربولوجيا بدراسة الأجناس والأعراق البشرية المختلفة من حيث أصلها (على سبيل المثال أصل السكان الأصليين لأمريكا)، تاريخها وحضاراتها وقيمها.

ج- أما في عصرنا الحالي فان الأنثربولوجيا ترتبط عادة بفكرة الأجناس والأعراق البشرية والإنسانية، من حيث قيمها وثقافتها[3].

[1]-سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات الأنثربولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية، فرنسي عربي- عربي فرنسي- انجليزي عربي- عربي انجليزي، مكتبة شمس المعرفة،ص 17.
[2]- .مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الانتروبولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص17 .
[3]- المرجع نفسه، ص 20،21.

المحاضرة الثالثة: فروع ومجالات الانثربولوجيا:

إن الأنثربولوجيا تحتوي على الكثير من الفروع التي تختلف باختلاف الموضوعات التي تتناولها وتعالجها، وسنحاول في هذا العنصر تحديد الفروع التالية: الأنثربولوجيا العضوية أو الفيزيقية، الأنثربولوجيا الثقافية والاجتماعية، الأنثربولوجيا اللغوية والتربوية، وعلم الآثار والأركيولوجيا، وأول فرع سنقوم بدراسته هو :

1 -الأنثربولوجيا العضوية أو الفيزيقية:

هو مجال يحاول أن يبحث في أصل الإنسان، باعتباره نوعا ينتمي الى الجنس، والبحث كذلك في الطبيعة وفي مفهوم التطور والأسباب والعلل التي تتحكم في الاختلافات البيولوجية عند الإنسان ومقارنته بالأنواع الأخرى من الكائنات الحية.

وأهم الموضوعات التي يتناولها هذا النوع من الأنثربولوجيا هي : ما هو دور علم الوراثة والمحيط في تطور الإنسان؟ وبهذا تتلاقى الأنثربولوجيا باعتبارها علما يكمل العلوم الاجتماعية مع العلوم الطبيعية. وكلا العلمين يكمل الأخر، والدليل على حاجة الأنثربولوجيا الى العلوم الطبيعية يتمثل في البحث عن أصل البشرية من خلال طريقتين : الطريقة الأولى وسميت بالطريقة المباشرة وذلك من خلال دراسة المستحثات (بقايا الإنسان)، وطريقة غير مباشرة من خلال دراسة الكائنات الحية غير الإنسانية، لكنها أقرب الى الإنسان، وذلك بالاعتماد على علم الأنسجة وعلم الوراثة[1].

ويهتم هذا النوع من الأنثربولوجيا بثلاثة مجالات:

1 - **المجال الأول:** يشمل إعادة بناء التاريخ التطوري للنوع الإنساني، ووصف (تفسير) التغيرات التي كانت السبب في انحراف النوع الإنساني عن السلسلة التي كان يشارك بها مع صنف الحيوانات الرئيسية.

2 - **المجال الثاني:** يهتم بوصف(تفسير) التغيرات البيولوجية عند الأحياء من الجنس البشري، وتمتد هذه الأبحاث لتشمل: العلاقة الكائنة بين التركيب البيولوجي من جهة، والثقافة، والسلوك من جهة أخرى.

3 - **المجال الثالث:** وهو تخصص هام في علم الأنثربولوجيا العضوية،ويبحث في علاقاتها مع بيئاتها، وتطورها، سلوكها الاجتماعي.

وتنقسم الأنثربولوجيا العضوية الى فرعين أساسيين وذلك بحسب الدراسة، فنجد:

[1]- مصطفى تيلوين، مدخل عام في الانثربولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص 30،31.

أ - **فرع الحفريات البشرية:** وهي العلم الذي يدرس الجنس البشري منذ نشأته، ومن ثم مراحله الأولية وتطوره، من خلال ما تدل عليه الحفريات والآثار المكتشفة. أي أنه يتناول بالبحث نوعنا البشري واتجاهات تطوره، ولاسيما ما كان منها متصلا بالنواحي التي تكشفها الأحافير..

ب - فرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية:

وهو العلم الذي يدرس الصفات العضوية للإنسان البدائي (المنقرض) والإنسان الحالي، من حيث الملامح الأساسية والسمات العضوية العامة. ولذا كرس علماء الأجسام معظم جهودهم لدراسة الأصناف البشرية ورصد الفروقات بينها، ومحاولة معرفة الأسباب المحتملة لهذه الفروقات.

استنادا الى ما تقدم، يمكن القول أن الأنثربولوجيا العضوية(الطبيعية) إنما تدرس تلك الخصائص العضوية والملامح العامة للبناء الفيزيقي للإنسان، أو ما يمسى بالبناء العضوي للإنسان. أي أنها تدرس التاريخ العضوي للإنسان الطبيعي، مع الأخذ في الحسبان خصائصه العضوية المختلفة، وملامحه البنائية الحالية والمنقرضة، وبما يعطي في النهاية المراحل التطورية الارتقائية للجنس البشري[1].

2 - الأنثربولوجيا الاجتماعية:

التعريف الكلاسيكي للأنثربولوجيا الاجتماعية أنها دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات، ومن مذاهب تقترب العلاقة بين الأنثربولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع.

ويوصف علم الأنثربولوجيا الاجتماعية بأنه علم حديث العهد، لا بل من أكثر العلوم الاجتماعية حداثة. فقد استخدام مصطلح مالك يوم (الأنثربولوجية الاجتماعية) للمرة الأولى في عام 1980 عندما كرمت جامعة ليفربول في بريطانيا السيد " جميس فريزر" ومنحته لقب الأستاذ[2]. وقد عرف "فريزر" الأنثربولوجيا الاجتماعية بأنها فرع من علم الاجتماع الذي يدرس الشعوب البدائية.

وينطبق هذا الكلام الى حد كبير على راد كليف براون، فهو يعرف الأنثربولوجيا الاجتماعية بأنها: "الدراسة النظرية المقارنة لأشكال الحياة الاجتماعية عند الشعوب البدائية." وكان قد وصف الأنثربولوجيا الاجتماعية في دراسة سابقة (1923) بأنها " الدراسة التي سعى الى وضع القوانين العامة التي تحكم الظواهر الثقافية".

---

[1]- أزهري مصطفى صادق علي ، الأنثربولوجيا الطبيعية والثقافية(علم الإنسان الطبيعي والثقافي) ج1، جامعة الملك سعود كلية السياحة والآثار، 1433، ص 8،9.

[2]- عيسى الشماس مدخل الى علم الإنسان، مرجع سبق ذكره،ص 115، 116.

أما الأنثربولوجيا الاجتماعية الأمريكية فهي مجرد اتجاه داخل الأنثربوبولجيا الأمريكية. وكان "كليف براون" قد أرسى قواعدها في أثناء عمله بجامعة شيكاغو في ثلاثينات هذا القرن. وتنص لوائح هذه الجامعة على أن الانثربولوجيين الاجتماعيين يدرسون :" طبيعة المجتمع البشري والثقافة عن طريق المقارنة المنهجية بين المجتمعات، وذلك سواء كانت هذه المجتمعات أمية أو غربية حديثة . اما "مارغريت ميد" فقد قدمت نظرة أوسع حيث سوت بين الأنثربولوجيا الاجتماعية والأنثربولوجيا الثقافية إذ تستهدف كلتاهما تفهم عمليات السلوك البشري[1].

3 - الأنثربولوجيا الثقافية:

تدرس سلوك الإنسان وعماله الناتجة عن ثقافته وتدرس كذلك أصول الثقافة الإنسانية وتاريخها وتطورها ووظائف الثقافات الإنسانية في كل زمان ومكان وعناصرها المختلفة بجانبها المادي والمعنوي، وتشمل دراسة دارسة اللغة والدين والقيم والمعايير والمعتقدات، فضلا عن دراسة الآلات والأدوات والملبس والمأكل والمسكن، والتكنولوجيا المستخدمة.[2]

ويمكن أن تكون دراسة الأنثربولوجية الثقافية ذات جانبين: الجانب الاول هو الدراسة المتزامنة أو في زمن واحد (أي دراسة المجتمعات والثقافات في نقطة معينة من تاريخها) ومن الجدير بالذكر أن الدراسة الآنية(المتزامنة) تعني دراسة الثقافة من وجهة النظر الوظيفية أساسا. أما الجانب الثاني فهو الدراسة التتبعية (أو التاريخية) (أي دراسة المجتمعات والثقافات عبر التاريخ)[3].

فالأنثربولوجيا الثقافية إذن تهدف الى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها. كما تهدف الى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وتفسير بالتالي المراحل التطورية لثقافة معينة في مجتمع معين.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الأنثربولوجية الثقافية تهتم بالتراث والحياة داخل نطاق المجتمع، ويمكن بواسطتها الخوض في جوهر الثقافات المختلفة، ومعرفة كيف تحيا الأمم، من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي سبل العيش المتبعة لديهم؟ ما هي الطرائق التي يتبعونها في تربية أبناءهم؟ كيف يعبرون عن أنفسهم؟ ما هي طريقتهم في

---

[1]- ايكه هولتكرانس، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، قاموس الانثنولوجيا والفلكلور، مرجع سبق ذكره، ص 52،53

[2]- سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات الانثربولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية، ، مرجع سبق ذكره، ص217.

[3]- محمد الجوهري وعلياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثربولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص 35،36.

أداء عباداتهم؟ ما هي العلوم والآداب والفنون السائدة عندهم؟ وكيف ينقلون تراثهم الى أجيالهم الجديدة من بعدهم؟ وغير ذلك من العادات وأساليب التعامل فيما بينهم[1].

أ - نشأة الأنثربولوجيا الثقافية ومراحل تطورها:

لم تظهر الأنثربولوجيا الثقافية كفرع مستقل عن الأنثربولوجيا العامة، إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويعود الفضل في ذلك الى العالم الانجليزي "ادوارد تايلور" الذي يعد من رواد الأنثربولوجيا، والذي قدم أول تعريف شامل للثقافة عام 1871 في كتابه "الثقافة البدائية"، وقد مرت الأنثربوبوجيا الثقافية بعدة مراحل منذ ذلك الحين حتى وصلت الى ما هي عليه في العصر الحالي، وهي كالتالي:

المرحلة البدائية: وتمتد من ظهور الأنثربولوجيا حتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم، والبحث عن نشأة المجتمع الإنساني.

المرحلة الثانية: وتقع ما بين 1900- 1915 ، وتعد هذه المرحلة التكوينية، حيث تركزت الجهود في الأبحاث والدراسات، على مجتمعات صغيرة محددة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطورها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض.

المرحلة الثالثة: وقع ما بين 1915-1930، وتعد فترة ازدهار، حيث تميزت بكثرة البحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثربولوجيا الثقافية، ولا يسما تلك الدراسات التي تركزت في أمريكا.

المرحلة الرابعة: ومدتها عشر سنة،وتقع ما بين 1930- 1940. وعلى الرغم من قصر مدتها، فقد أطلق عليها الفترة التوسعية، حيث تميزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثربولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثربولوجية العامة، وخصصت لها فروع ومقررات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات.

المرحلة الخامسة: وهي الفترة العصرية التي بدأت منذ عام 1940 ومازالت حتى الوقت الحاضر. وتمتاز هذه المرحلة بتوسع نطاق الدراسات الأنثربولوجية، خارج أوروبا وأمريكا، وانتشار الأنثربولوجية الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية في إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية[2].

---

[1]- عيسى الشماس، مدخل الى علم الإنسان، الأنثربولوجيا دراسة، مرجع سبق ذكره، 96-98.

[2]- عيسى الشماس، مدخل الى علن الإنسان(الأنثربولوجيا) دراسة، مرجع سبق ذكره، ص 99،100.

وتفرع الأنثربولوجيا الثقافية الى ثلاث فروع: علم اللغويات، وعلم الأثار(ما قبل التاريخ) وعلم الأنتربولوجيا والأنثنولوجرافيا، أما الانثرولولوجيا البيولوجية فتدرس التطور الإنساني والسمات البيولوجية وتنوعها والسلالات البشرية[1]، وهي كالتالي:

3 - **علم اللغويات:** وهو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحية، ولاسيما المكتوبة منها في السجلات التاريخية، كاللاتينية القديمة، واللغات الحية المستخدمة في الوقت الخالي كالعربية، والفرنسية، والانجليزية. ويهتم دارسوا اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، الى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلا للثقافة.

4 - **علم الآثار:** يهتم علم الآثار بدراسة ما تركه الإنسان من أشياء مادية بداء من الأدوات التي صنعها من مواد خام لمواجهة متطلبات الحياة من معيشة ومسكن وغير ذلك، وانطلاقا من أن هذه الأدوات تبقى بعده أثرا على تجربته ومؤرخة عصره. ويشمل ميدان علم الآثار الكشف عن الأثر الإنساني المادي ودراسته وجلاء البيئة التي وجد فيها واستخلاص كل المدلولات الممكنة منه.ولا يبتعد هذا التحديد لعلم الآثار كثيرا عن الدلالة التي استعملت لها قديما الكلمة اليونانية" أركيولوجية" التي اعتمدتها اللغات الأوروبية وكانت تعني " علم القديم" وتحديد الزمن الذي يتوقف عنده علم الآثار مختلف عنه.

وإذا كان علن الآثار يعتمد –الى حد ما على التاريخ- فانه يختلف عن علم التاريخ في أنه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرخة، وإنما يدرس تلك الفترات التي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة وتدوين التاريخ[2].

4 - **الأنثربولوجيا التربوية:** يعرف هذا الفرع كالتالي: " هو ذلك الفعل الذي نمارسه على الأخر لتنمية قدراته وملكاته العقلية والبدنية"، ويعتبر "دوركايم" وبالضبط بين عام 1922 و 1925 هو المؤسس للانثربولوجيا التربوية ، إذ درس الأنظمة التربوية وابرز: كيف يمكن للمجتمعات أن تتكيف من خلال الأنظمة التربوية بإشكالية تقسيم العمل الذي تم تقسيمه الى قسمين: عمل ميكانيكي ألي متعلق بعمل الآلات، وعمل عضوي مرتبط بالجهد العضلي والطبيعي للإنسان العامل.

وابتداء من عام 1960 سنلاحظ ظهور ثورات في مجال الأنثربولوجيا التربوية وبالخصوص في فرنسا وبريطانيا اللتين ستركزان على دور التربية في المجتمعات الصناعية المتقدمة، وسيواصل "دوركايم" تساؤلاته حول العلاقة الممكنة بين التعليم

---

[1]- سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات الأنثربولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب والأدبية، مرجع سبق ذكره، ص 217.

[2]- أزهري مصطفى صادق، الانثربولوجيا الطبيعية والثقافية (علم الإنسان الطبيعي والثقافي) ج1، مرجع سبق ذكره، ص 11، 12.

ومتطلبات المجتمع، وسيتساءل كذلك عن دور المدرسة في تقسيم الأفراد حسب قدراتهم داخل الفضاء الاجتماعي، وسيطور الأنكلوسكسونيون هذه التساؤلات، لكن بالإضافة الجديدة والتي كانت محل تركيزهم حول الفهم المتبادل والثقافة المشتركة بين المعلم والمتعلم.

وقد اهتمت الأنثربولوجيا التربوية بدراسة وتحليل محتويات العملية التعليمية (محتوى البرامج التعليمية) والبحث في الأسباب التي جعلت من هذه البرامج معتمدة في المنظومة التربوية الوطنية، وقامت كذلك بالبحث في الفروقات الموجودة بين التعليم الخاص والتعليم العام، والبحث في مختلف برامج الدول وأهدافها الاجتماعية بالدرجة الاول. وبحثت في هندسة القاعات وشكلها، وفي علاقة المدرسة بالمحيط[1].

[1]- مصطفى تيلوين ، مدخل عام في الأنثربولوجيا، مرجع سبق ذكره، ص 40،41.

المحاضرة الرابعة: علاقة الأنثربولوجيا بالعلوم الأخرى

على الرغم من الاعتراف بالأنثربولوجيا كعلم مستقل بذاته، إلا أننا نجد هناك علاقة تداخل بينه وبين العلوم الأخرى المتعلقة بدراسة الإنسان، وهذا ما سنعرضه في هذا العنصر:

1 - علاقة الأنثربولوجيا بعلم الأحياء أو البيولوجيا:

يتناول علم الأحياء دراسة الكائنات الحية من وحدة الخلية الأبسط تركيبا الى أكثرا تعقيدا، ولذلك يعرف بأنه " العلم الذي يدرس الإنسان كفرد قائم بذاته، من حيث بنية أعضائه وتطورها."

ويرتبط علم الأحياء بالعلوم الطبيعية، ولا يسما علم وظائف الأعضاء والتشريح وحياة الكائن الحي، وتدخل في ذلك نظرية التطور التي تقول بأن أجسام أجناس الكائنات الحية وأنواعها ووظائف أعضائها، تتغير باستمرار ما دامت هذه الكائنات تتكاثر وتنتج أجيالا جديدة، وقد تكون أرقى من الأجيال السابقة كما هو الحال عند الإنسان.

إذا يمكن القول أن الأنثربولوجيا من الناحية النظرية شديدة القرب من البيولوجيا، فكلاهما يدرس عملية إعادة إنتاج الحياة، وكلاهما مبني على نموذج نظري للتنوع وكل تخصصه.

ويحظى تحليل النوع في العلمين، بدور حيوي: التنوع الجيني في علم (البيولوجيا) والتنوع الاجتماعي في (الأنثربولوجيا)، فالتنوع أمر أساسي لما تسميه البيولوجيا "وهي القدرة على مواصلة الحياة، وإخلاف الذرة، والأمر ذاته نجده في الأنثربولوجيا فيما يطلق عليه: إشباع الحاجات الأساسية[1].

2 - علاقتها بعلم الفلسفة:

إذا كانت الفلسفة أم العلوم كما كانت تسمى ، بالنظر لشمولية دراستها مجموعة من العلوم الرياضية والإنسانية والفيزيائية، فان صلة الأنثربولوجيا بها وثيقة جدا لاسيما فيما يتعلق لنظرة الإنسان الى الكون والحياة، في زمن ما أو مكان ما، وذلك لأن الزمن والمكان مرتبطان بعلاقة جدلية، لا يمكن إدراك مكوناتها إلا من خلال دراسة الفعل الإنساني الذي يسعى الى البقاء والاستمرار، فدراسة الإنسان ونشأته وحياته وسعيه الى البقاء والخلود وما ينجم عن ذلك من تطور وتغير مستمرين كلها تقع في ميدان الدراسات الأنثربولوجية، وبالخصوص العلاقة الأزلية بين الإنسان وواقعه، وما يطمح إليه في المستقبل.

[1]- عيسى الشماس، مدخل الى علم الإنسان (الأنثربولوجيا) دراسة، مرجع سبق ذكره، ص 36،37.

وتكمن نقطة الاختلاف بينهما تقتصر فقط على طريقة تفسير نظرة الإنسان للكون والحياة، فالفلسفة تفسر الأمر بطريقة ميتافزيقية، أما الأنثربولوجية تعتمد في تفسيرها للأمر على الواقع الفعلي.

3 - علاقتها بعلم النفس:

يعرف علم النفس بأنه العلم الذي يدرس العقل البشري، والطبيعة البشرية والسلوك الناتج عنهما. أي أنه " مجموعة الحقائق التي يتم الحصول عليها من وجهة النظر النفسية.

ومن هذا المنطلق يمكن القول : إن علم النفس / هو العلم الذي يدرس الإنسان من جوانب شخصيته المختلفة، بغية الوصول الى حقائق حولها، قد تكون ذات صفة عامة ومطلقة، يمكن تعميمها.

ولذلك تهتم الدراسات النفسية بالخصائص الجسمية الموروثة، وتحديد علاقاتها بالعوامل السلوكية لدى الفرد، ولاسيما تلك العلاقة بين الصفات الجسمية العامة، وسيمات الشخصية. مع الأخذ بعين الاعتبار البيئة المحيطة بهذه الشخصية.

وإذا كانت الأنثربولوجيا توصف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان، من حيث تطوره وسلوكاته، وأنماط حياته، فان علم النفس يشارك الأنثربولوجيا في دراسة سلوك الإنسان / الفرد.أما الأنثربولوجيا فتركز على سلوك الإنساني بشكل عام. كما تدرس السلوك الاجتماعي النابع من تراث الجماعة.

وعلى الرغم من أن علم النفس يقصر دراسته على الفرد، بينما تركز الأنثربولوجيا اهتمامها على المجموعة من جهة، وعلى الفرد بصفته عضوا في هذه المجموعة من جهة أخرى،، فثمة صلة وثيقة بين العلمين حيث علماء النفس أن الإنسان لا يعيش إلا في بيئة اجتماعية يؤثر فيها ويتأثر بها.لذلك نرى أن المهمة التي تواجه الباحث الأنثربولوجي، لا تختلف عن تلك المهمة التي تواجه عالم النفس: فكلاهما عليه أن يستخلص صفات الشيء الذي هو موضوع دراسته، من التعبير الخارجي في السلوك، وان كان عالم الأنثربولوجيا يعوقه اضطراره الى إدخال خطوة إضافية في مستهل عمله.

فبينما يستطيع عالم النفس أن يلاحظ سلوك موضوع بحثه بصورة مباشرة، ينبغي على عالم الأنثربولوجيا أن يبني استنتاجاته على الأنماط المثالية للثقافة التي يتناولها بالبحث.لذلك تعد دراسة الأنثربولوجيا دراسة للأنماط السلوكية الإنسانية، بينما تعد الدراسة النفسية دراسة للسلوك بالشخصية الفردية، وان كانت تتأثر بالعلوم الاجتماعية[1].

[1]- عيسى الشماس، مدخل الى علم الإنسان (الأنثربولوجيا) دراسة، مرجع سبق ذكره، ص 40-42.

خلاصة:

يمكننا في الأخير تقديم بعض الملاحظات القيمة التي يمكن اعتبارها أساسية في هذه المحاضرة:

1 - إن الأنثربولوجيا لم تولد ولم تتشكل دفعة واحدة ، بل هي تراكم متواصل ومستمر من المعارف الإنسانية المختلفة.

2 - بالرغم من أن الأنثربولوجيا احتفظت بالتعريف نفسه الا ان موضوعاتها اختلفت وتميزت بحسب العصور ووفقا للموضوعات المدروسة والمعالجة.

3 - إن الانثربولوجيا ليست علما مستقلان بل هي تداخل بين عدة علوم ومعارف، كعلم النفس، علم الاجتماع، البيولوجيا، الفبزياء، علم الاقتصاد، علم السياسة.

4 - وهذا ما نتج عنه الكثير من الفروع الأنثربولوجية كلأنثربولوجية اللغوية، الأنثربولوجية النفسية، الأنثربولوجية الاجتماعية والثقافية، الأنثربولوجية البيولوجية والفيزيائية.

5 - إن هذه الفروع بدورها تؤسس الكثير من المدارس الأنثربولوجية كالمدرسة البنيوية، الانتشارية، الوظيفية، والبنائية الوظيفية، التطورية والاجتماعية الثقافية.

6 - ومما زاد من حيوية الأنثربولوجية ودقتها هو اعتمادها على البحث الميداني أو الحقلي كأداة لإثبات صحة نظرياتها.

قائمة المراجع

أولا:المعاجم والقواميس

1 - سمير سعيد حجازي، معجم مصطلحات الأنثربولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والادبية، فرنسي عربي- عربي فرنسي، انجليزي عربي- عربي انجليزي، مكتبة شمس المعرفة.
2 - ايكه هولتكرانس، ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ط2، القاهرة، مصر، 1972.
3 - شاكر مصطفى سليم، قاموس الانثربولوجيا، جامعة الكويت، 1981.

ثانيا: الكتب

1 - أزهري مصطفى صادق علي، الأنثربولوجيا الطبيعية والثقافية(علم الطبيعي والثقافي) ج1، جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، 1433.
2 - الشماس عيسى، مدخل الى علم الإنسان(الأنثربولوجيا) دراسة، منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2004.
3 - بيري بيلتو، ترجمة كاظم سعد الدين، دراسة الانثربولوجيا المفهوم، التاريخ، بيت الحكمة، بغداد، 2010.
4 - تيلوين مصطفى، مدخل عام في الانثربولوجيا، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011.
5 - حسين فهيم، قصة الأنثربولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، الكويت، يناير، 1978.
6 - فاروق مصطفى إسماعيل، الأنثربولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة الإسكندرية، مصر، 1980.
7 - مارك أوجي، ترجمة طواهير ميلود، أنثربولوجيا العوالم المعاصرة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
8 - محمد الجواهري وعلياء شكري، مقدمة في دراسة الانثربولوجيا، القاهرة، مصر، 2008.